متحف الاسكندرية ومكتبتها

اطلعنا في " الادجبشن غازت " على مقالة شائقة عن متحف الاسكندرية ومكتبتها الاولى من قلم عضو من اعضاء جمعية الآثار والعاديات في الاسكندرية وهي تشهد لغزارة علم الكاتب وسعة اطلاعه ودقة بحثه فرأينا ان نعربها وننشرها على صفحات المقتطف لما فيها من الفوائد الجزيلة قال : —

يعلم ادباء الاسكندرية ان متحفها ومكتبتها الاولى التي أسسها بطليموس سوتر (٣٢٣ — ٢٨٤ ق . م) بايعاز ارسطو ونظمها ابنهُ فلادلفوس (٢٨٤ — ٢٤٦ ق . م) كانا سبب فخرها ومجدها ايام كانت مركز العلوم والآداب . ولم يكن متحفها مكاناً لمجرد جمع الآثار القديمة كما هو عليهِ الآن بل كان اشبه بمدرسة كلية رئيسها كاهن ينتخبهُ الملك واوقافها كثيرة تدفع من ريعها رواتب اساتذتها . وكان حول المتحف اراضٍ فسيحة فيها حديقة عمومية والمقاعد مبثوثة في جوانبها والتلامذة يدرسون على معلميهم الشعر والرياضيات والفلك والطب

قال شارب في كتابهِ تاريخ مصر " وكان يؤمُّ هذا المتحف عدد كبير من الفلاسفة والمصورين والنقاشين والشعراء والمؤرخين وفحول الرياضيين حتى اصبح من ازهى معاهد العلم وازهرها في ذلك الزمن . ومن حسن حظ الاسكندرية حينئذٍ ان ملوكها كانوا يحبون العلم ويجلُّون قدر العلماء " . وكان في المكتبة ٤٠٠٠٠٠ سفرٍ ودرجٍ . وقد ترجمت التوراة الى اليونانية وكتب تاريخ مصر باليونانية كتبهُ الكاهن مانثو بامر بطليموس فلادلفوس ليوضعا في تلك المكتبة

وكان العالم الخطيب ديمتريوس فاليريوس الاثيني مديراً اول للمكتبة ثم خلفهُ الشاعر زنودوتس الافسسي وهو اول من جمع قصائد هوميروس ونشرها . وكان اقليدس ابو الهندسة رئيس القسم الرياضي في عهد بطليموس الاول . ولما سأله بطليموس سوتر عن طريقة سهلة لتعلم الهندسة اجابهُ جوابهُ المشهور وهو قولهُ " ليس لها سكة سلطانية " ولعلهُ اشار بذلك الى عادة كانت جارية في بلاد فارس حينئذٍ وهي انهم كانوا ينشئون لملوكهم سككاً خصوصية محاذية للسكك العمومية . وكان كليماكس القيرواني استاذاً لشعر الرثاء والتأبين واراستراتوس القوصي وهروفيتوس الخلكيدوني اول من علَّم التشريح في عهد بطليموس سوتر بل اول من استنبط صناعة التشريح العملي . وكان معلم الفلك في عهد بطليموس فلادلفوس العالم

ارسترخس الساموسي وهو اول من قال بدوران الارض حول الشمس . وكان مدير مكتبة المتحف في عهد بطليموس يورجيتس الفلكيّ اراتوستنيس الذي وضع خريطة السماء وهو اول من علّم ان الارض كرة وبيّن كيف يقاس حجمها ومحيطها . وكان ارخميدس اشهر قدماء الرياضيين قد ادخل لولبهُ (الطنبور) الى مصر لري ارضها ولا يزال فيها منذ ذلك العهد الى الآن (اكثر من ألفي سنة)

وخلف اراتوستنيس على ادارة المكتبة المهندس ابوثينيوس وهو الذي شرح خواص الاشكال الاهليلجية والشلجمية والمذلولية . واكتشف حبارخوس ابو الفلك الرياضي والجغرافية في عهد بطليموس السادس مبادرة الاعتدالين واخترع اسطرلابًا قاس بهِ طول السنة فاذا هو ٣٦٥ يومًا وربع يوم

هؤلاء بعض العلماء الذين عاشوا في عهد البطالسة الستة الأُول وكان اولئك البطالسة يقصدون المكتبة لكي يسمعوا خطب اولئك العلماء الاعلام ويستفيدوا منهم ويكونوا قدوة لشعبهم في طلب الفائدة

اما ما جرى بالاسفار والادراج التي كانت في المكتبة وعددها ٤٠٠ ألف او ٧٠٠ ألف فقد اختلفت الاقوال فيهِ واول من كتب عن ذلك الفيلسوف سنكا معلّم نيرون في اواخر القرن الاول من التاريخ المسيحي اي بعد ما تلفت المكتبة بنحو مئة سنة فانهُ قال احترقت مكتبة الاسكندرية التي تحوي اربع مئة الف مجلّد . وقال فلوطرخس في كتابهِ عن يوليوس قيصر بعد ذلك بسنوات قليلة ان قيصر كان يقاتل الجنود المصرية التي كانت بقيادة اخلاس ليحتلّ مكانًا في حيّ القصر الملكي بالاسكندرية لان كليوباطرة فتنتهُ بمحاسنها بعد ما حملها ايولودورس اليهِ ملفوفة في بساط فاضطرّ ان يضرم النار في سفنهِ التي في المرفإ منعًا لوقوعها في يد الاعداء فاندلع لسان اللهب وامتدّ الى القصر فأحرق مكتبة الاسكندرية العظيمة

هذا ولم يذكر المؤرخ الذي وصف احتراق السفن في حرب قيصر الاهلية شيئًا عن احتراق المكتبة ولا اشار سترابو الذي وصف الاسكندرية بعد ذلك باربع وعشرين سنة الى وجودها الاّ اذا كان قد دمجها في المتحف الذي قال انهُ لم يمسّهُ ضرٌّ . واغرب من ذلك ان شيشرون المشهور لم يقل كلمة عن تلك الخسارة العظيمة التي خسرها العلم والادب . على ان هذه كلها ادلة سلبية لا يعوّل عليها في جنب الادلة الايجابيّة التي عندنا غير قول فلوطرخس المذكور آنفًا منها ما قالهُ ديون كاسيوس (١٥٥ — ٢٢٩ ب . م) تأييدًا لقول فلوطرخس وهو « ان لسان اللهب امتدّ كثيرًا فأحرق المرفأ واهراء الحبوب ومخازن الكتب وغيرها ويقال

ان الكتب كانت كثيرة وثمينة ". ونشأ في القرن الرابع من التاريخ المسيحي جندي ومؤلف اسمهُ مارسلينوس فوصف مكتبة الاسكندرية بقولهِ " انها مكتبة ثمينة اتنق الكتّاب الاقدمون على ان ما فيها من الاسفار والادراج التي جمعها البطالسة بعد طول الجهد والعناء وعددها ٧٠٠ الف مجلد ذهبت طعمة النار في حرب الاسكندرية حين دمر قيصر المدينة ".

وكتب بولس اوروسيوس في تاريخهِ الذي ألفهُ نحو سنة ٤١٦ مسيحية يقول "صدرت الاوامر في غضون القتال باضرام النيران في الاسطول الملكي الذي كان راسياً قرب الشاطئ فاتصلت النار بقسم من المدينة وحرقت ٤٠٠ الف كتاب كانت مخزونة في بناء قريب من مكان النار. فتلف بها ذلك الاثر العجيب المتضمن تاريخ نهضة اسلافنا الادبية الذين ابتدعوا تلك المجموعة العظيمة الجليلة وكانت دليلاً على سمو عقولهم "

فيمكن ان يستنتج من الروايات المتقدمة ان حرق المكتبة كان امراً مسلّماً بهِ عموماً من ايام فلوطرخس وليس هناك سبب كافٍ يحملنا على الشك فيهِ الآن

وهنا سؤال آخر وهو هل احترقت ابنية المكتبة والمتحف ايضاً مثل محتوياتهما والاقوال متضاربة في ذلك. فقيصر يقول في اول تاريخ "حرب الاسكندرية" انهم لم يكونوا يستعملون الخشب في ابنية الاسكندرية وكانوا يصنعون سقوفها من الحجر بحيث كانت في مأمن من النار. ولكنهُ يقول فيما بعد انهُ لما احتاجت سفنهُ الى مجاذيف نزعت سقوف بعض الابنية العمومية وحوّل خشبها الى مجاذيف. والمرجح ان ابنية المتحف لم تتلف كلها بدليل ان سترابو يصفها ولا يعقل انها تُرمَّم في مدة الاربع وعشرين سنة التي مرّت منذ احتراقها ولا يشير سترابو اقلّ اشارة الى هذا الامر. وان كانت المكتبة قسماً من المتحف فربما لم تحترق ايضاً

وقد قال الدكتور بطلر في كتابهِ الحديث "فتح مصر والاسكندرية" انهُ يكاد يكون من المؤكد ان بعض ابنية المتحف بقيت مستعملة الى ايام كركلا القيصر الروماني الذي سفك الدماء في المدينة كالانهار (٢١٦ ب . م) وان القيصر اورليانوس دمّر ابنية المتحف سنة ٢٧٣ ب . م واعمل سيف الدمار في حي بروشيوم قصاصاً لاهالي الاسكندرية على عصيانهم وقال غيرهُ غير ذلك

هذا من حيث المتحف وما اصابهُ واما من حيث موقعهُ وموقع المكتبة فقد قال الدكتور بطلر ايضاً في كتابهِ المشار اليهِ ما يأتي "اما عن ترتيب ابنية المتحف وموقع المكتبة فلا يعلم شيء اكيد وكذلك لا يعلم اين كان موقع المتحف" ولكن احد مواطنينا كتب حديثاً في هذا الموضوع وجزم "بان المتحف كان قائماً في الشارع الذي هو فيهِ الآن اي شارع النبي دانيال

بأزاء جامع سعيد باشا وجوار القنصلية النرنسوية . وكانت المكتبة جنوبهُ . واول من عين موقعهُ محمود الفلكي "

فلننظر الآن في هذا القول لنرى ان كان صحيحًا فنقول

ورد في رسالة لمحمود الفلكي عنوانها " الاسكندرية القديمة " وهي التي نقل الدكتور بوتي مدير المتحف عنها في كتابهِ المسمَّى " رسم مدينة الاسكندرية في عهد البطالسة " ما يأتي :—

" وجد حجر كالخزانة في حديقة القنصلية البروسيانية في المربع الواقع بين شارع النبي دانيال والشارع الذي يمرُّ امام محطة سكة الحديد المؤدية الى القاهرة وشارع رشيد وعليها كتابة مآلها ان فيها مؤلفات كاتب كان قبل عهد الاسكندر . فثبت بذلك ان المكتبة العظيمة كانت في تلك البقعة . وقد اكَّد لي العالم الدكتور بروغش قنصل بروسيا في القاهرة سابقًا صحة ذلك وقولهُ حجة عندي وعند جميع علماء الآثار والعاديات في اوربا "

ومما يقولهُ الدكتور بوتي انهُ فتش الاوراق التي سلمها اليهِ ابنة المستر هرس فوجد فيها المذكرة الآتية " حجر من الغرانيت وجد في اراضي المسيو دي لورين بالاسكندرية سنة ١٨٤٧ " . وقد وصف الدكتور بوتي الحجر فقال انهُ مستطيل الشكل طولهُ ١٧ عقدة وربع عقدة وعرضهُ ١٥ عقدة ونصف عقدة وفيهِ حفرة مماثلة لهُ في شكلهِ طولها ١٠ عقد وعرضها ٨ عقد وعمقها ٣ عقد. وقد ظن انها كانت محلوية على ادراج من البردي (بابيرس) وعلى احد جوانبهِ الخارجية كتابة يونانية يقال فيها " مؤلفات ديوسقوريدس "

اما المربع الذي تقدم القول عنهُ ان المتحف والمكتبة كانا فيهِ فقد كان مرتفعًا من ١٥ قدمًا الى ٢٠ قدمًا عن مساواة الشوارع المجاورة لهُ عند اكتشاف الخزانة الحجرية المذكورة آنفًا . وبقي نحو اربعين سنة على تلك الحال ثم مهِّد عند بناء بورصة طوسن وذلك قبيل انشاء المتحف الحديث وجمعية الآثار القديمة في الاسكندرية . وكان موقع منزل لورين الذي كان قنصل بروسيا ساكنًا فيهِ سنة ١٨٤٧ عند الطرف الجنوبي الشرقي من المرتفع المشار اليهِ ولعلهُ كان ملك الكافاليير دي لورين قنصل النمسا حينئذٍ. اما الخزانة فلا يعلم ماذا جرى بها على عظم اهميتها لمجموعة الآثار اليونانية في متحفنا الجديد

اما كتَّاب اليونان الذين سُمُّوا باسم ديوسقوريدس فكثيرون ولكن الذي اشتهر منهم قبل عهد الاسكندرية هو ديوسقوريدس تلميذ ايستراط الخطيب الاثيني (٤٣٦ — ٣٣٨ ق . م) وزمانهُ يوافق افتراض الدكتور بروغش من ان ديوسقوريدس المنقوش اسمهُ على

أخزانة هو نفسهُ مؤلف الكتب التي كانت فيها. ولكن اذا صحَّ هذا الفرض وهو ما لا أُحالهُ صحيحاً كان تعيين موقع اثر مشهور مثل مكتبة الاسكندرية بناء على اكتشاف خزانة فارغة حجة واهية ضعيفة

ومما يجب ذكرهُ ان بُعد بورصة طوسن والحراء والقنصلية الفرنسوية (المتضمنة في مربع محمود الفلكي) عن المرفإ التجاري قرب الطرف الشرقي من ميدان محمد علي يزيد على ست مئة متر. وهذه المسافة تقتضي ناراً عظيمة مثل التي شبت سنة ١٨٨٢ فاحرقت الميدان المذكور وابنية شارع شريف باشا حتى تصل من المرفإ الى بورصة طوسن وغيرها من الابنية الواقعة ضمن المربع المذكور

على ان مؤرخ حرب قيصر الاهلية يخبرنا ان المكان الذي احتلهُ قيصر اولاً من القصر الملكي كان متصلاً بالمشهد والمرفإ. فلو فرضنا أن موقع المتحف والمكتبة كان بين حيّ اليونان الحالي والبحر وموقع المشهد محل عمود فكتوريا الحالي سهل علينا اذ ذاك ان ندرك كيف يمكن ان تحترق المكتبة باتصال النار اليها من المرفإ

ثم استطرد الكاتب الى القول الشائع وهو ان مكتبة السرابيوم الملقبة بابنة المكتبة الاولى اخذها انطونيوس من برغاموس واهداها الى كليوباطرة فوضعتها في هيكل السرابيوم حيث عمود السواري الآن فبيَّن ضعف هذا القول وضعف السند الذي بني عليهِ وهذا السند هو قول فلوطرخس لكن فلوطرخس لا يقول ان انطونيوس فعل ذلك بل ان كاليسوس اتهمهُ بهِ لكي يحقرهُ عند اهل رومية. اما الكتَّاب الذين كتبوا في ذلك العهد وبعدهُ فلا يشيرون اقل اشارة الى ان مكتبة برغاموس نقلت الى الاسكندرية. وقد كتب استرابون بعد تاريخ النقل المزعوم بعشر سنوات وقال ان خزائن برغاموس وذخائرها كانت لا تزال فيها

هذا وقد وعد الكاتب باستطراد الكلام الى مكتبة السرابيوم وما حلَّ بها وهي المكتبة التي وقع الجدال في شأنها لما اوردهُ عنها عبد اللطيف البغدادي وابو الفرج الملطي من ان عمرو بن العاص حرقها بامر الخليفة عمر بن الخطاب وقام الباحثون المحدثون ونقوا ذلك بادلة نقلية وعقلية. وقد اشرنا قبلاً الى ما يرتئيهِ الدكتور بطلر احدث الباحثين في هذا الموضوع وهو ان مكتبة السرابيوم تلفت او تفرَّقت او أُخرجت من الاسكندرية قبل زمن الفتح لكن الكاتب لا يميل الى هذا الرأي على ما يظهر وسنرى ما يقولهُ في هذا الموضوع اما ما قالهُ الذين جاؤوا قبل الدكتور بطلر فتداول وارد كلهُ في مقالة الدكتور بطلر